منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
ISLAMIC WORLD EDUCATIONAL, SCIENTIFIC AND CULTURAL ORGANIZATION
ORGANISATION DU MONDE ISLAMIQUE POUR L'EDUCATION, LES SCIENCES ET LA CULTURE

ملتقـــى الإيسيسكـــو الثقافـــي

(1)

«التحديات الثقافية المستقبلية في العالم الإسلامي»

محاضرة
الأستاذ الدكتور عباس الجراري

الرباط 2022
الرباط عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Rabat, Culture Capital in the Islamic World
Rabat, Capitale de la culture du monde islamique

منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
إيسيسكو ـ 1440هـ/2019م

رقم الإيداع القانوني : 2019MO5609
ردمك : 978-9920-682-10-7

التصفيف والتوضيب والسحب في الإيسيسكو
الرباط ـ المملكة المغربية

فهرس

- تقديم 5
- كلمة معالي الدكتور سالم بن محمد المالك، المدير العام للإيسيسكو 7
- محاضرة الدكتور عباس الجراري 11
- التعقيبات والأسئلة 20
- نبذة عن الدكتور عباس الجراري 33

تقديم(*)

تعتبر الملتقيات الثقافية محضنًا للأفكار والقضايا والمبادرات والمشاريع الفكرية والثقافية والإبداعية في عالمنا المعاصر، وقد عملت كثير من المؤسسات على أن يكون لها إطار فكري يلتقي فيه أهل المعرفة والاختصاص لتدارس ومناقشة أهم القضايا التي تهم الشأن الثقافي أو التربوي أو ما سوى ذلك.

وبناء على أهداف الإيسيسكو لتعزيز العمل الثقافي المشترك للدول الأعضاء وجعله رافعة للتنمية المستدامة، واستشرافًا من المنظمة للتحديات الثقافية التي يواجهها العالم الإسلامي، واستجابة لتطلعات النخب الفكرية، والفاعلين الثقافيين يأتي إطلاق مبادرة «ملتقى الإيسيسكو الثقافي» الذي يروم أن يكون منصة للكفاءات الثقافية، ومحضنًا للنخب الفكرية لتدارس الموضوعات التي تهم الشأن الثقافي في العالمين العربي والإسلامي.

وسيعقد الملتقى سلسة لقاءات فكرية شهرية في موضوع من الموضوعات الثقافية ذات الأولوية مثل : الأبعاد الجيوسياسية للثقافة، وحماية التراث المادي واللامادي، والتحولات الثقافية في زمن الذكاء الاصطناعي، والصناعات الثقافية، والحوكمة الثقافية، والوساطة الثقافية، والسياسات الثقافية، وقضايا الهوية واللغة، والحقوق الثقافية، والجهوية الثقافية، والخصوصية الثقافية في إطار العولمة الثقافية، وقضايا الإسلاموفوبيا، وثقافة الكراهية والعنف، وثقافة الحوار والعيش المشترك، والأدوار الثقافية الجديدة للمجتمع المدني،... وما سوى ذلك من المواضيع التي يمكن للمشاركين في الملتقى اقتراحها.

وفي هذا الإطار، عقد الملتقى الثقافي في مقر الإيسيسكو في الرباط يوم الثلاثاء 22 أكتوبر 2019، أول لقاء له باستضافة فضيلة الأستاذ الدكتور عباس الجراري، أحد رجالات الدولة والثقافة والفكر البارزين، في موضوع «التحديات الثقافية المستقبلية في العالم الإسلامي».

(*) الدكتور عبد الإله بنعرفة، المستشار الثقافي لمعالي المدير العام، المشرف على الملتقى.

إن التحولات التي تعرفها المجتمعات المختلفة هي تحولات ثقافية بالدرجة الأولى: العولمة، التنمية الرقمية، تسارع تسويق المبادلات، تزايد أعداد المهاجرين من ثقافات مختلفة يغير من معارفنا وعلاقتنا مع العالم ومن رؤيتنا للآخر.

كما أن التفاوتات بين المواطنين، والانكفاء على الذات والهويات الضيقة، وأزمة التمثيل النيابي لها أثر على مسارات بناء دولة الحق والقانون والديمقراطية في كثير من بلدان العالم.

وبالمقابل، فإن هناك رغبة كبيرة من أجل مشاركة متزايدة في الحياة الثقافية والفنية تعكس رغبة كل فرد في إثبات ذاته، بقدر ما تعكس رغبته في الانتماء إلى المجتمع وتجديد المواطنة عبر إنشاء روابط ثقافية جديدة.

كلمة معالي الدكتور سالم بن محمد المالك
المدير العام للإيسيسكو

أصحابَ المعالي والسعادة، وضيوفَنا الكرام،
حضرات السادة والسيدات،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يسعدني أن أتحدث إليكم في افتتاح هذا اللقاء الفكري الكبير الذي أطلقت الإيسيسكو مبادرته حتى يكون مَأْرِزًا تأوي إليه النُّخَبُ الفكرية والثقافية والطاقاتُ الشبابية الحيَّةُ في العالم الإسلامي وخارجِه، ومنصَّةً تستقطب صُنَّاعَ القَرار في قضايا الثقافة والفكر والمعرفة، ومُعبِّراً عن فائق الاعتزاز بتوجيه بالغ الشكر وعظيم التقدير إلى جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، على ما تلقاه الإيسيسكو ومديرها العام من دعم موصول من جلالته، وحكومة المملكة المغربية حتى تقوم بأدوارها المنوطة بها على أقوم وجه وأكمل صورة.

كما يَسرُّني توجيهُ الشُّكر والامتنان إلى معالي الدكتور عباس الجراري، عميدِ الأدب المغربي وأستاذِ الأجيال، وأَحَدِ رجالات الدولة والفكر والثقافة في المملكة المغربية والعالم الإسلامي، مُقَدِّراً موافقَتَه على تشريفِنا في انطلاق هذه المبادرة الثقافية الكبرى، ليكون أولَ مُحاضر ومتحدِّثٍ يفتتحُ سلسلةَ محاضراتِ هذا الملتقى الثقافي الباذخ، الذي نؤمِّل فيه كل خير، ونعلِّقُ عليه آمالا كبيرة في النهوض الحضاري عبر بوَّابَة الثقافة المُشْرَعَةِ الأبواب والآفاق.

ويُسعِدُني أن أُرَحِّبَ باسم الإيسيسكو ترحيباً وافياً ضافياً بكل ضيوفنا الكرام أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة من الشخصيات البارزة والمثقفين والأدباء وهيئات المجتمع المدني ورجال الإعلام والأساتذة وطلبَتِنا الأعزّاء في الإيسيسكو التي هي بيت خبرة للعالم الإسلامي تفتح لكم أبوابها للمشاركة فيما هي على أعتاب إطلاق رؤيتها

الجديدة التي تسعى من خلالها لمواكبة متغيرات العصر ومتطلبات شعوب العالم الإسلامي، فلكم فيها حق ولها عليكم حق.

إننا نرحِّبُ بكم جميعاً في بيتِكم الإيسيسكو، التي هي بيتُ خِبْرَةِ العالم الإسلامي في مجالات اختصاصها، وهي تفتَحُ لكم على الدَّوام أبوابَها للمشاركة في أنشِطَتها، والاستماعِ إلى مقترحاتكم للنهوض بالثقافة والتربية والعلوم والاتصال في الدول الأعضاء.

أصحابَ المعالي والسعادة،

حضرات السادة والسيدات،

إنّ عنوان محاضرة اليوم «التحديات الثقافية المستقبلية في العالم الإسلامي» يستحقُّ كل عناية لأنه يراهن على أمرين : على المستقبل ويتوجَّـه إليـه، وعلى الثقافة بما هي قـوة ناعمة لها من الأثـر والتأثيـر ما يجعلها فـاعلة لا منفعلـة أو تابعة.

إنَّ النخبَ السياسية في عـالمنا اليـوم لم تعـد بمفردها صانعة القرار، بل هناك من لهم من التأثير والأثر ما يفوق أضعاف ما للسياسيين، وهؤلاء هم عناصر القوة الناعمة في الفكر والثقافة والفنون والرياضة وما سواها، وعلينا أن نكون قـادرين على استثمار هذه القـوة الناعمة فيما يخـدم دولَنا ومصالحَ شعوبِنا، ويحقّـِقُ لها التنميـةَ والسَّعـادةَ والرَّخـاءَ، والأمْـنَ والأمـانَ والهنـاء.

أصحابَ المعالي والسعادة،

حضرات السادة والسيدات،

وفي رؤيتنا الجديدة نريـد أن نخرج من أسوار هذا المقر إلى قطاعات الإبداع والتميـز من قلب مدينـة العرفان الجامعية في الرباط.

نريد أن تكون الإيسيسكو منظمة دولية يُشـار إليها بالبنـان، وتُؤْخَـذُ برامِجُها وأنشِطَتُها بالحُسبـان، برامـجٌ هـادفةٌ، مبـادراتٌ بنّـاءة، مؤتمـراتٌ ناجحةٌ، وتوصيـاتٌ تـلامس الواقع.

ومن، واعتباراً لهذه الرؤية الحضارية والثقافية المتميـزة التي تنهض بها وتجسِّـدُها الإيسيسكـو في برامجها واستراتيجياتها، فإن ما ينبغي أن نؤكِّـدَ عليه اليومَ هو أنَّ الاستثمارَ في هذه القـوة النـاعمة للثقافة مُرْبِـحٌ على كل الصُّعُـدِ، فهنـاك أثـرٌ تَنْمَـوِيٌّ

ماديٌّ على المدى القصير والمتوسط، وهناك آثـار معنوية لا مادية يبقـى مفعـولُهَـا سارياً على المدى البعيـد لفـائدة أجيـال المستقبـل.

إنَّ التحديـاتَ الثقافيةَ المستقبليةَ التي تواجه العـالمَ الإسلامي متنوعـةٌ ومتعـدّدةٌ، وعلينا أن نكون قادرين على الإنصات لأهـل الشَّـأن لِيُـوَجِّـهُـوا دفّـةَ سفينَـتِـنا نحو شُطـآنِ الأمان، فهناك قضايا تخصُّ الأمـنَ الثقافي العربي والإسلامي لها من الأهميـة ما لا يخفى على كل لبيب ونبيه، وهناك قضايا أخرى تتعلَّـقُ بوجودنا كأُمَّة وكدول وكشعـوب ينبغي أن يكون لها حضور وتأثيـر ومساهمة فاعلة في البناء الحضاري الإنساني العام. ومن أبرز التحديات الثقافية قضايا الهوية والعيش المشترك ونشرِ ثقافة الحياة ومواجهةِ ثقافة الموت والكراهية والعنصرية والإقصاء، والاهتمامِ بقضايا التراث واللغة، والحقِّ في الثقافة والاستفادةِ منها لكافة المواطنين، والحق في امتلاكِ وسائل العصر من تقنيات ووسائط وتكنولوجيا حديثة لبناء محتويات ومضامين جديدة وثقافة رقمية مواكبة تعكسُ تاريخَنا وهويتَنا وحضارتَنا وشخصيتَنا التاريخية، وتنفتحُ على العصر بكل مكتسباتِه وإنجازاتِه دون عُقَدٍ أو مركَّبات نَقْصٍ، وتتوجَّهُ إلى المستقبل بكل أمل وحرية واطمئنان.

ولنا أن نتسـاءل في ختام هذه الكلمة : هل نعرفُ ما هي التحديات الثقافية المستقبلية التي تواجه العالم الإسلامي، وما هي طبيعتها ؟ وماذا أعددنا كدول وشعوب وصُنَّاع قرار لرفعِها والتَّعامُلِ معها ؟

لاشكَّ أنَّ محاضرةَ الدكتور عباس الجراري ستلامسُ هذه القضايا وستجيبُ عن تساؤلاتنا بفضل ما له من التَّجربة والمعرفة والاطِّلاع والممارسة في الحقل الجامعي والثقافي.

ومن هذا المنبر أدعوكم لتقديم آرائكم ومقترحاتكم، وأن لا تبخلوا علينا بمرئياتكم فيما ينهضُ بمنظمتكم، ويجعلُ منها منارةَ إشعاعٍ وبريقَ أملٍ للعالم الإسلامي والإنسانية جمعاء.

إنّ العقلَ البشري واحد في خِـلقته، ورُوحَ الإنسـان من نفخة إلهية واحدة، وهذا يُحتِّـم تقـاسُـمَ وحدة المصيـر والمشتـرك الإنساني الواحد من أجل التَّعـارف وحفظِ الكرامة الإنسانية، مصداقـاً لقـوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلقناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأنثى وجَعلناكُمْ شعوباً وقبائلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محاضرة الدكتور عباس الجراري

بسم الله وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

معالي المدير العام لمنظمة الإيسيسكو الموقرة، الأخ الكريم

الأستاذ الدكتور سالم بن محمد المالك،

أصحاب المعالي والسعادة،

حضرات السيدات والسادة.

أستسمحكم في أن أعترف بأن الكلام يخونني للتعبير عن الشكر الذي ينبغي أن أقوم به للصديق الدكتور المدير العام، على كلمته الجميلة الجامعة التي تدل على كريم شيمه ونبيل سماحته وأريحيته، والتي زادتني اعتزازاً وافتخاراً وأنا أحضر لإلقاء هذه المحاضرة التي تنخرط في البرنامج الجديد الذي تواصل به مسيرة التطوير التي تنهجها الإيسيسكو، والذي ابتدعه سيادة المدير العام، لكي يكون للمثقفين ولعموم محبي الثقافة لقاءاً شهرياً حول أحد موضوعاتها الهامة ؛ وزاد فشرفني بأن أكون أول من يلقي هذه المحاضرة أو بالأحرى هذا الحديث.

ولكني لا أخفيكم أني حين تلقيت هذه الدعوة الكريمة، قلت في نفسي، مستحضراً المثل القائل: «كواسق التمر إلى هجر، أو مستبضعه إلى طيبة أو خيبر». ذلكم أننا ـ هنا ـ في قلعة الثقافة، ثم يطلب من أحد المهتمين أن يتحدث عن تحديات وقضايا شائكة في هذه الثقافة. لذا فأرجو اعتبار ما أقول مجرد حديث لتبادل الرأي في الموضوع، مع تجديد الاعتراف بأن عبارات الشكر ـ مهما حاولت ـ لن تكون كافية في حق معالي المدير العام المحترم، ومثلها للأخ الكريم الأستاذ الدكتور بنعرفة على كلمته التقديمية.

حضرات السيدات والسادة،

في بداية حديثي وبين يدي هذه المحاضرة التي اقترحت لها الإدارة العامة للإيسيسكو عنواناً دالاً هو: «التحديات الثقافية المستقبلية في العالم الإسلامي»، أريد أن أقف وقفة قصيرة عند مفردات هذا العنوان وهي: التحديات، الثقافة، المستقبل، العالم الإسلامي.

فالتحديات ـ كما هو شائع ـ هي العوائق والعراقيل التي تقف أمام الفرد أو أمام المجتمع، وتَحدُّ إمكاناته وتحول بينه وبين أن ينجز عملاً ما أو أن يحقق مشروعاً ما. وأخشى أن يكون مصطلح التحديات كبيراً بالنسبة لموضوع الثقافة وكأنه معْجِز. فهي قضايا، أي هي مشكلات يمكن أن تحل من غير أن تعوق المسير، لو كانت للمعتنين بها همة أو لو كانت لهم إرادة.

وأما الثقافة فمن المصطلحات المتداولة عند عموم الناس، ولكن مفهومها يظل عائماً وتائهاً بين مختلف الآراء التي تُطْرَحُ حوله. هل الثقافة جزء من الحضارة؟ هل تقابل الحضارة؟ هل هي العلوم الإنسانية ؟ هل هي الفنون الجميلة ؟ هل هي العادات والتقاليد ؟ هل هي القيم الأخلاقية ؟ وما إلى ذلك مما هو معروف أو غير معروف ؟ ولكن شاع أن الثقافة هي ما هو غير مادي، في مقابل ما هو مادي، أي في مقابل ما يسمى الحضارة عند البعض وإن كانت الحضارة مصطلحاً شاملاً عند أغلب الناس.

والمستقبل هنا ليس هو المستقبل في مفهومه الكوني، أي ما لا نعرفه، أي الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ ولكن المستقبل ـ هنا ـ هو مستقبل شيء معين يمكننا أن نتصوره وهو الثقافة. وهو ممتد في الماضي وفي الحاضر، وما زال ممتداً إلى المستقبل ؛ لأن الثقافة ليست شيئاً طارئاً، وليست أمراً مستحدثاً حتى نُهوِّن الحديث عنها وعن المستقبل. ولكن نظراً إلى أن هذه الثقافة التي نريد أن نتحدث عنها من زاوية المستقبل، هي ثقافة آتية من ماضينا، وموجودة في حاضرنا، ولها ارتباط تأسيسي بمستقبلنا، فنحن حين نربط مستقبلها بالتحديات لا بد أن يكون لنا مشروع لهذا المستقبل، وأن تكون لنا في هذا المشروع أهداف واضحة ؛ أي ماذا نريد أن نحقق في هذا المستقبل ولمن نريد أن نحققه ؟ ثم أن تكون لنا الإرادة لوضع المشروع وتنفيذه بما يلزم من أدوات.

أما العالم الإسلامي، فإنه يجتاز فترة صعبة رغم تعدد أقطاره ووجودها في مختلف القارات، ورغم عدد سكانه الهائل، ورغم ثرواته الطائلة، ورغم موقعه الذي يتوسط

الكون، ورغم ماضيه وما يتطلع إليه، فهو يعاني ما يعرقل مسيرته، مما نعرف ونشاهد من خلافات ونزاعات وصراعات تصل إلى حد الاقتتال وتدمير الذات. ونحن كل يوم نتألم لذلك ونأسف له، لأن تطلعاتنا وآمالانا لمستقبل هذا العالم كبيرة، ونريدها أن تكون نائية عما نعيشه الآن، حتى يتسنى تحقيق هذه التطلعات والآمال.

إذن هذه بضع كلمات عن مفردات العنوان، فما هي التحديات التي تواجه مستقبلنا الثقافي ؟ لقد أشار إلى بعضها أو معظمها معالي المدير العام في كلمته، ومنها كذلك ما ورد في الكلمة التقديمية للدكتور بنعرفة. ولو شئنا أن نتتبع وأن نواصل الحديث عن مختلف العلل التي تعانيها الثقافة، لاحتجنا إلى زمن طويل وإلى مكان آخر. لذا وفي نطاق الحيز الضيق للوقت المسموح به، سأقتصر في حديثي على تحديين أو قضيتين اثنتين نعيشهما الآن، ولعلنا سنعيشهما في المستقبل.

أما القضية الأولى فهي أننا منشغلون بموضوع التنمية الشاملة المؤدية إلى التقدم والرقي، في تركيز على الجوانب الاقتصادية والمالية من صناعة وفلاحة واستثمارات وما إلى ذلك. وهذا أساسي وجيد ؛ ولكن لا ينبغي أن ننسى أن هذه التنمية أو هذا الرقي الذي نسعى مادياً إليه، لا يمكن أن يقوم إلا إذا كانت خلفه وفي انطلاقته الثقافة ؛ لأن الثقافة هي وعي بالذات وبالكيان، ووعي بمقومات الهوية، وبمكونات الشخصية، من لغة ومن دين ومن معارف وقيم، مما هو مُضمَّن في كل هذه العناصر ويصب في إطار الثقافة.

على أن الحديث عن الهوية الإسلامية ـ التي يضاف إليها ذلك الوعي ـ لا ينبغي أن تجعلنا نغفل مختلف الهويات الفرعية التي تخص كل بلد، وقد تزيد تفرعاً داخل البلد الواحد، ولا سيما حين يكون متميزاً بالتنوع والتعدد. وفي هذا الإطار نحتاج إلى مراعاة الاختلافات العرقية والمذهبية الدينية الدالة في الحقيقة على سعة الشرع ومدى اجتهاد الفقهاء الذي ما أحوجنا اليوم إلى مواصلته لمواجهة قضايا العصر الطارئة.

ثم إن علينا ألا نهمل عنصر الوعي بالذات الذي كثيراً ما ننساه، إذ يدخل ـ إلى جانب وعينا بالهوية والكيان والانتماء ـ الوعي بالطاقات الإنسانية، وبالقدرات الإبداعية والثقة فيها، لأنه عندما نعي أن هناك إمكانات ذاتية موجودة في العالم الإسلامي، وتتوافر ثقتنا فيها، يمكن أن نبدع في مختلف المجالات، من اقتصاد وفلاحة وغيرهما فيتحقق الرقي والتقدم.

نحن اليوم نستهلك ما يصنعه وينتجه الآخر الذي أحسَّ بذاته ووعى بقدراته، وأخذ يبدع في كل ذلك، ونحن ما زلنا في معظمنا نكتفي باقتباس هذا الإنتاج واستعماله، ونحاول أن نسير في ركاب منتجه. ولا يمكن أن ندرك التنمية الحقيقية بمفهومها الشمولي الذي يؤدي إلى الرقي وإلى التقدم، طالما نحن مستهلكون أي غير منتجين. إننا لن نخرج من المرحلة التي نعانيها منذ بدأ انحدارنا ونهض الآخرون وصعدوا وحملوا المشعل الذي كان قروناً طويلة بيد المسلمين، في مختلف العلوم والآداب والفنون والصناعات. ولا سبيل إلى ذلك إلا بتنمية الذات انطلاقاً من الوعي بهذه الذات ؛ ذلكم الوعي لا يمكن أن يتحقق إلا من الداخل، أعني داخل الأفراد والمجتمعات؛ إذ هو ليس مما يُستورد أو يُفرض من الخارج، مثله في ذلك مثل عملية التطوير والتجديد والتغيير، فهي لا تنطلق إلا من الداخل. وإذا ما وُجد الوعي اتضحت الرؤية وبدت ملامح المشروع المستقبلي المتكامل وقوة الإرادة لتنفيذه. وذلكم كله لا يكون إلا انطلاقاً من الثقافة التي مطلوب فيها أن تكون متطورة ومتجددة باستمرار، وليست ـ كما هي اليوم ـ غارقة في تخلف بنيوي تعانيه.

أما القضية الثانية أو التحدي الثاني الذي نواجهه الآن ويتحدث عنه العلماء والمفكرون والمثقفون عامة، فيكمن في أن العالم اليوم يعيش مرحلة جديدة هي التي توسم بالحداثة أو التحديث أو العصرنة وما إلى هذه وتلك من التسميات. ذلكم أننا ـ نحن المسلمين ـ نعتز ونفتخر بماضينا المجيد. وهذه إشكالية كبيرة نُعانيها الآن وتعانيها الثقافة والفكر عموماً، لأننا نريد أن نلحق بالعصر وبالعالم الجديد، ولكن لم نعرف بعد كيف يتم لنا ذلك ويتحقق، خاصة وأن الواقع الإسلامي يشكل أكبر عائق، بدءاً من الشك في وجود مجتمع واعٍ قادر على إيجاد توازن محكم بين الأصالة والحداثة.

نحن مثقلون أو هكذا يبدو للبعض، أي أن ظهرنا مثقل بهذا الماضي. وهنا تكمن معادلة في غاية الصعوبة، وينبغي الالتفات إليها وبحثها بجد لإيجاد الحل الملائم لها. نعم نحن لنا ماض مجيد، وكنا لزمن طويل نحمل مشعل الثقافة والحضارة، بدءاً بالفلسفة وعلوم الدين والطب والفلك والجغرافيا إلى المعارف التي تدخل في نطاق الفنون كالموسيقى وغيرها. كل هذا كان ـ وما زال ـ مسجلاً في التاريخ، ويكفي أن نتذكر من حين لآخر بعض أولئك الأعلام الذين أنشأوا تلك الثقافة والحضارة، وأبدعوا ذلكم الازدهار الذي استفاد منه الغرب لكي يحمل المشعل ويصبح هو صاحب الريادة.

نحن إذن أصحاب ماض مجيد، ولكننا في الوقت ذاته مطالبون بأن نواكب العصر، وأن نساير الحداثة، أي أن نكون أبناء جيلنا وأبناء عصرنا وأبناء المستقبل. إذن فيم يفكر مثقفو العالم الإسلامي وعلماء العالم الإسلامي ؟

هناك من يقول: نحن لنا تاريخ حافل في الحضارة والثقافة، ونحن في غنى عن هذه الحداثة التي قد لا يلائمنا الكثير من مظاهرها، والتي فقدت توازنها بعد أن أصبحت مهددة بالانهيار. وهناك من يقول إن هذا الماضي هو مجرد عبء يثقل كاهلنا بعد أن انتهت صلاحيته ؛ ويجب أن نتخلص منه إذا كنا نريد أن نلحق بالعالم المعاصر ونستفيد من منتجات الحداثة. وفي رأيي «كلا طرفي قصد الأمور ذميم» كما يقال، أي لا هؤلاء ولا أولئك. إذن كيف تحل هذه المعادلة التي هي الآن قائمة بكل جدية على المستوى العام وعند المفكرين بشكل خاص ؟

إن هذه المسألة لا يمكن أن تحل إلا بالتوفيق بين هذه الأصالة التي نعتز بها، وتلك الحداثة التي نريد أن نلحق بها. إن الأمر ليس سهلاً، وهو يبدي عجزنا، لأن تراثنا الذي يمتد قروناً على جميع الأصعدة في العالم الإسلامي من المغرب إلى المشرق يحتاج أولاً أن نعرفه، نحن نتحدث عنه ولكن لا نعرفه، أي لا نشخصه ولا نبحث فيه ولا نحلله، ولا ننظر بالتالي إلى ما هو صالح منه وما هو غير صالح. وتراثنا قد دخلته شوائب. فهل سنأخذه كما هو بجوانبه الناقصة والفاسدة ؟ أم نحن محتاجون إلى أن نصفيه ؟

ولكي نصفيه علينا أن ندرسه ونفحصه ونبحثه ونحلله. ولا أعني هنا ما يتم في جامعاتنا من اهتمام بتحقيق بعض النصوص القديمة ودراسة موضوعات معينة من هذا التراث. فذلك مطلوب ولكنه ليس كافياً. نحن نحتاج إلى تشخيص دقيق لتراثنا ولماضينا. ما هو الصالح منه وما هو الطالح ؟ حتى نأخذ الصالح منه بعد تصفيته ونتمسك به ونضيف إليه ونوفقه مع الجديد، أي أن نوفق بين أصالتنا والحداثة.

والشيء ذاته بالنسبة لهذه الحداثة، فهي قد نشأت في بيئة أخرى لها تقاليدها ولها عاداتها وتاريخها، ويصعب علينا أن نأخذها كما هي ونطبقها على ثقافتنا بطريقة عشوائية غير مدروسة. على أنه ينبغي أن نعترف أننا انفتحنا على هذه الحداثة ونحن منفصلون ـ أو نكاد ـ عن تراثنا وما فيه، وأن نعترف كذلك بأن هذا الانفتاح على جديد الغرب يتم من غير أن ندرك أسسه التي انطلق منها وما كان في هذه الأسس من قضايا فكرية وسياسية واجهها مفكروه، وعالجوها ونمَّوها ـ موضوعاً ومنهجاً ـ

قبل الوصول إلى ما انتهوا إليه. والسبب أننا انبهرنا به وأخذناه كما هو في جميع مظاهره، خاصة وأننا كنا قد خرجنا من عهد الاستعمار وظلاميته.

هذا، وإذا كان ماضينا وتراثنا دخلته شوائب وجب التخلص منها، فكذلك الحداثة التي يجب تمحيص مختلف جوانبها، ولا سيما القيم التي هي عنصر أساسي من عناصر الثقافة، وجزء أساسي في الهويات وفي الكيانات وسائر الانتماءات. فهل سنأخذ هذه الحداثة بقيمها؟

لذا، فإن المعادلة القائمة على تحديث الأصالة وتأصيل الحداثة حاضرة الآن في الفكر الإسلامي، ويتحمس لها الكثيرون ؛ ولكن كل طرف يجر إلى جانبه، في وقت ينبغي أن نتأملهما بجد وموضوعية ونخضعهما للبحث والدراسة والعمل المتواصل في هذا المجال، مع الاهتمام فيهما ـ ولا سيما بالنسبة للحداثة ـ بموضوع القيم التي هي الأخلاق والتي هي في حقيقتها ذات بعد إنساني أو هكذا ينبغي أن تكون.

إن الثقافة الإسلامية غنية بالقيم التي يعلمنا إياها ديننا الحنيف، وخاصة حين يتحدث عن كثير مما يثار منها اليوم، عن التعايش وعن التعارف وعن التسامح وعن الوسطية والاعتدال، وكذلك حين يتحدث عن الحوار. فبالنسبة لهذا الحوار، هل هناك نص يعلمنا قيمته وكيفيته أكثر من نص القرآن الكريم؟ نحن الآن نشكو من انعدام الحوار أو تعثره، وكنا قد بدأنا منذ مدة نثير مسألة الحوار الإسلامي الإسلامي وكذلك الحوار مع الآخر، انطلاقاً من أن الحوار مكون أساسي في قيمنا وثقافتنا. فحين تقرأون القرآن الكريم تجدون أن الله عز وجل حاور الأنبياء وحاور الملائكة وحاور الشيطان. فالحوار في قيمنا الإسلامية قائم على أن لك رأياً وأن لي رأياً آخر قد أتفق فيه معك وقد أختلف، وإلا لما سُمِّي حواراً ولما كان. وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف نحاور وكيف هو عليه السلام كان يحاور المومنين وغير المومنين، وكان منطلقه في ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾. معناه إما أنك أنت على خطأ أو أنا على خطأ، وإما أنك أنت على صواب أو أنا على صواب.

وهذا مجرد مثال يدل على أساسية القيم في ثقافتنا، وينبغي أن نحييها وأن نبعثها وأن نطبقها. ومثلها الحرية التي ننساها وننسى أننا أمة الحرية. والمصدر الأساسي فيها هو القرآن الكريم الذي علمنا ويعلمنا ما هي ؟ وكيف ينبغي أن نتعامل بها مع الآخر، حتى فيما يتعلق بالمعتقد. ويكفي أن نقرأ قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ و﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ و﴿ **من شاء فليومن ومن شاء فليكفر** ﴾.

وسواء بالنسبة للحرية أو غيرها من القيم، علينا أن ننظر في إمكان التوفيق بين قيمنا الإسلامية وقيم العصر. وإننا في هذا السياق كثيراً ما نسمع حديثاً مكرراً معاداً عن حقوق الإنسان، وهو مطلب إيجابي وضروري وتربطنا بشأنه مع الغرب اتفاقيات والتزامات، ولكن ننسى مطلباً آخر ينبغي أن يكون موازياً للأول إن لم يكن سابقاً عليه، وهو مطلب الواجبات.

ثم إننا نتحدث عن الحداثة ونحن لا نراها إلا من خلال حداثة الغرب، أي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. لكن هناك حداثات أخرى في آسيا. والعالم الإسلامي بدأ اليوم ينفتح على عوالم وبلدان أخرى مثل الصين واليابان وغيرهما من الدول التي لها دور كبير في إحداث التنمية وفي صنع التقدم. ولعل منافستها للغرب أقوى مما نتصوره، وقد يُظهر المستقبل القريب ذلك.

لقد بدأ الالتفات إلى هذه العوالم الجديدة التي كانت مهملة. لذا ونحن ننظر إلى الغرب لا بد أن ننظر كذلك إلى الشرق، لأن كثيراً من بلدانه ناهضة ومتطورة في مناهج تربيتها وتعليمها وفي سائر مناهجها وما تؤدي إليه من إنتاج جديد، مع المحافظة على شخصيتها وتراثها وما يتضمن من عادات وتقاليد.

إن العالم الإسلامي اليوم، وعلى الرغم مما يعانيه، أنتج الكثير، وكفاءاته متنوعة ومتعددة، وشبابه الكفء يضطر في الغالب أن يهاجر إلى العالم الآخر ـ أعني الغرب ـ لأنه يجد فيه ما لا يجد في العالم الإسلامي. وهم بالآلاف وبعشرات الآلاف إن لم يكونوا بمئات الآلاف والملايين. وهم يمثلون تلك الكفاءات التي تهاجر من بلدانها الإسلامية إلى الأقطار الأوروبية والأمريكية، تُساهم في النهوض بها وتنميتها وتطوير إنتاجها الذي تعيده إلينا لنستهلكه. وهذا جانب من التحدي ينبغي أن ننظر فيه بجد وبروح وطنية عسانا نستعيد كفاءاتنا المهاجرة، ولكن كيف ؟

الأسف أن المسؤولين في بعض بلداننا الإسلامية يفرحون حين يهاجر بعض المواطنين من أطباء ومهندسين وأساتذة وقضاة وصناع مهرة، فيما يجب ـ على العكس من ذلك ـ أن يبكوا. إن علينا حتى نكون في المستوى اللائق أن نسترد كفاءاتنا التي تعمل للآخر وتصنع له وتنتج ما يُصدر إلينا لنستهلكه.

إن العالم الإسلامي اليوم، وعلى النحو الذي نراه فيه من تشتت وتمزق، يحتاج أن يراجع نفسه بنقد ذاتي عساه يلم شتاته ويضمد جراحه ويسترجع الوعي بذاته. وهو

ما لا يمكن أن يحققه إلا بالثقافة ؛ هذه الثقافة التي لا يمكن أن تتطور وتتجدد بجهود المثقفين كأفراد فقط، ولكن كذلك بسند المؤسسات الرسمية التي ينبغي أن تحتضنها وترعاها بالتمويل والتشجيع.

فعن طريق الثقافة، يمكن أن نسترجع للعالم الإسلامي مكانته، أي يمكن أن تتحقق المصالحة التي نفتقدها الآن بين المسلمين وحتى بينهم وبين غيرهم. وكما أقول دائماً «إن المصارحة هي السبيل إلى المصالحة» سواء مع الذات أو مع الآخر. لهذا لا أريد أن تكونوا اعتبرتم هذه المحاضرة تبليغاً لعلم جديد أو تعديلا لمعرفة قديمة. إنها مجرد حديث لتبادل الرأي. وما أحوجنا إلى أن نتبادل الرأي في هذا الموضوع.

وبعد، فهذه أمثلة للتحديات التي تواجه المسلمين، ولكن كيف التغلب عليها ؟ إن القدرة على هذا التغلب لا تكون إلا بالفكر الذي يعني كذلك العلم والتجربة والقدرة على التحكم في كل ما يرومه الإنسان من حاجيات خاصة وعامة ؛ مع التفتح على ما عند الآخرين، ومع نقد الذات قبل ذلك.

ولا شك أن التربية والتعليم عاملان أساسيان في تكوين هذا الفكر الذي يومن بالثقافة ويبث الوعي بالذات في النفوس. وإذا كنا نثير قضية التربية والتعليم، فلأننا نشكو الأمية التي ما زالت منتشرة في عدد من الدول الإسلامية، وتصل في بعضها إلى ثلاثين أو أربعين في المائة من مواطني هذه الدول. هذا فيما يتعلق بالأمية الأبجدية، أما الأمية الثقافية التي يعانيها حتى المتعلمون فَداءٌ آخر يحتاج إلى تأمله ودراسته، ولا يمكن أن نعالجه إلى بنشر العلم.

والعلم هو مسؤولية التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ومراكز البحث العلمي. ومعروف أن الجامعات في العالم الإسلامي أكثر من أن تعد، لكن ما هو دورها وأثرها في المجتمع ؟ وما هو دورها وأثرها في حل المعضلات ؟ وما هو دورها وأثرها في التنمية وفي إحداث الرقي والتقدم وفي كل القضايا والمشكلات التي نظنها تحديات صعبة ؟ ولكن حين نصارح بعضنا، وحين نفتح قلوبنا لبعضنا، وحين نزيل الضغائن بيننا وأسبابها، يمكن أن نحقق ما نطمح ونسعى إليه من جمع الكلمة والعمل بتعاون وتضامن، مع نظر متفائل للمستقبل، حتى لا نصاب باليأس والإحباط، ومع الاقتناع بأن الثقافة لا تنهض ولا تزدهر ولا تستمر إلا بالتواصل والتفتح والتفاعل والتحالف والتكامل، في تعايش وتسامح يتيحان الثقة في الذات وقبول الآخر في غير تصارع أو تصادم، والقدرة بالتالي على المساهمة في الثقافة

الإنسانية والحضارة الكونية والإضافة إليهما مما عندنا، وإثبات حضورنا في هذا العصر الذي يشهد تحولات عالمية واضطرابات متنوعة كبيرة تجعل المسلمين في حيرة من أمرهم يعانون تناقضات ويواجهون تحديات، من بينها ما تناولنا في هذا الحديث الموجز.

ولا أملك في الختام إلا أن أجدد الشكر لمعالي المدير العام لهذه المنظمة الموقرة، ولجميع السيدات والسادة الذين شرفوني بحضورهم وتابعوا معي هذا الحديث.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

التعقيبات والأسئلة

د. عبد الإله بنعرفة(*) :

«شكراً للأستاذ الدكتور عباس الجراري على هذه السباحة الثقافية والفكرية التي يفترضها هذا السياق الذي نحن فيه أولاً وهو المنظمة، لأن هذه منظمة العالم الإسلامي من قلب الرباط، من قلب مدينة العرفان، وعاصمة الأنوار، كان هذا اللقاء حول هذه العناصر الأربعة. هذا المكعب الذي فكك عناصره الأستاذ الدكتور بهذه السياحة في الآفاق. التحديات التي يجب تجاوزها، والآفاق التي يجب الوصول إليها.

إن الثقافة منظومة من القيم. و«العالم الإسلامي»، مفهوم نشأ في القرن 19، في سياقات أوروبية، ولكن تبناه العالم الإسلامي، لأنه يعكس حقيقة وجود عالم منسجم يتشارك في عدة خصائص، لكن هذا المفهوم متمدد، وليس مفهوماً جامداً كما أشار معالي الدكتور الجراري الذي حدثنا عن تحديين كبيرين: تحدي التنمية في بعدها المادي ؛ لكنه تحدث أيضاً عن تحد آخر هو تحدي الحداثة. كيف يمكن أن ننظر إلى هذين التحديين عبر مصفاتين؟ مصفاة أولى للحداثة هي مصفاة القيم ؛ أي أن نقيم هذه الحداثة من خلال مصفاة ومنظومة القيم التي تشملها، وهذه قضية في غاية الأهمية. أما المصفاة الثانية المتعلقة بتنمية تراثنا الغني والمتنوع، فهي أن نأخذ من هذا التراث ما هو صالح لنا.

اليوم العالم يتحدث عن التراث الثقافي المادي واللامادي، وتملُّك هذا التراث هو جزء كبير من التنمية ؛ وجزء محدد لقضية الهوية ولقضية القيم.

طبعاً كل تراث فيه الغث والسمين، لكننا نحتاج إلى دراسته وتشخيصه في جامعاتنا ومؤسساتنا، ومن قبل خبرائنا وأساتذتنا وشبابنا. يجب أن يمتلك الجميع هذا التراث،

(*) الدكتور عبد الإله بنعرفة، المستشار الثقافي لمعالي المدير العام، المشرف على الملتقى.

وأن يستشعر بهذا التملك الذي هو ثروة مشتركة ضمن الحقوق الجماعية العامة. لقد قامت الإيسيسكو بإعداد وثيقة «الإعلان الإسلامي حول الحقوق الثقافية»، وهذا مفهوم جديد في التداول الثقافي العالمي.

المنظومة العالمية لم تستطع حتى الآن أن تتوافق على هذا الجيل الثالث من الحقوق، الذي له طبيعة جماعية وليس ذا طبيعة فردية كالحقوق المدنية والسياسية، أو الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

القوانين والدساتير تحدد هذه الحقوق الفردية، وتنص على أن «لكل فرد الحق في كذا وكذا ...» ؛ لكن الحق الثقافي هو حق جماعة مثل الحق في التراث هو حق لمجموعة بشرية. الحق في البيئة هو حق مجموعة أيضاً. كيف نكيّف هذه الحقوق في الوثائق القانونية والتشريعية؟ هذه من التحديات العظيمة. ومن التحديات الكبيرة. تحدث الدكتور الجراري أيضاً عن بعض مفاتيح القيم، وعن الحوار وعن الحرية، ونبه إلى أن هذه القيم موجودة في ديننا وثقافتنا وحضارتنا لكننا نسينا وتناسينا ما ترتبه علينا من التزامات. الإمام الشافعي يقول: «كلامي صحيح، يحتمل الخطأ، وكلامك خطأ يحتمل الصواب»، وأظن أن هذه العبارة تلخص روح الحضارة الإسلامية في قبولها بالتنوع. وما وجود هذه الشعوب والأعراق والثقافات والألسن واللغات المتعددة في هذا العالم الإسلامي الشاسع إلا دليل على هذا الوسع الذي ارتضاه لنا الخالق عز وجل: «**إن الله واسع عليم**» فهذا القِران بين العلم والوسع حقيقة قرآنية أثبتها المسلمون عبر هذا التعايش الحضاري الطويل في تاريخهم.

إذن هذه باختصار بعض القضايا التي تعرض لها الدكتور في حديثه الشائق الماتع، الذي أبى من تواضعه أن يسميه محاضرة، وإن كان هو في الحقيقة، محاضرة، لأنه ليس من السهل أن يَستجمع المرء شتات قضايا التحديات الثقافية في العالم الإسلامي. نحن نريد أن نتملك الحديث عن العالم الإسلامي من مدخل الثقافة لأنه هو اللحمة واللبنة الجامعة التي تجمعنا، هو بيتنا المشترك، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة هي بيت الخبرة وضمير العالم الإسلامي، كما أسماها جلالة الملك الحسن الثاني رحمة الله عليه. من هذا المنطلق ومن هذا المدخل، كان هذا الحديث وهذه المحاضرة الأولى في الملتقى الثقافي للإيسيسكو.

والآن، سنأخذ بعض الأسئلة أو بعض التعقيبات إذا كانت موجودة في القاعة، وسأسجل أسماء المتدخلين.

الكلمة للأستاذ حسن المير (كاتب) :

«في البداية أهنئ معالي السيد مدير المؤسسة على الثقة التي وضع فيه العالم الإسلامي لتسيير هذه المؤسسة الكبيرة الثقافية التي كما قال الأستاذ، كان جلالة الملك الحسن الثاني رحمة الله عليه يعول كثيراً عليها لنشر الثقافة الإسلامية الحقيقية.

تكلم أستاذنا الجليل، عميد الأدب المغربي الأستاذ عباس الجراري جزاه الله خيراً، واختصر كثيراً لأنه في جعبته الكثير في هذا الموضوع.

سأطرح سؤالين: أن يكون لنا مشروع ثقافي مستقبلي، وأن يكون لنا هدف. هذان السؤالان هما المحور الذي يقع فيهما العالم الإسلامي. حالياً هناك خلاف كبير حول الأهداف وحول المستقبل، حول استراتيجية الثقافة في العالم الإسلامي. كيف نهيئ للاستراتيجية؟ هل لدينا شباب له تكوين ذاتي بعيد عن التكوين الأكاديمي الذي من خلاله يفكر في مستقبل ثقافته الإسلامية ويجمع بين الأصالة والمعاصرة؟ هل لنا مؤسسات تقوم بهذا العمل وتضيف الجديد إلى العالم الإسلامي؟ اسمح لي السيد المدير العام، واسمح لي الأستاذ الجراري، في 1989 قدمت هذه المنظمة ندوة دولية حول المشروع الثقافي للشباب الإسلامي، كان مؤتمراً دولياً وكان لي الشرف أن أحضره، للأسف وهنا أطرح الموضوع باختصار، المشكل الذي نعاني منه اليوم هو تتبع هذه المشاريع وتنفيذها في العالم الإسلامي. آليات تنفيذها لا توجد. أنا أطلب من هذا المنبر أن تكون هناك آلية للتتبع والتنفيذ. لا يعقل أن مؤتمراً عقد منذ 30 سنة ولم نقم بخطوات أكثر إلى الأمام.

أنا أتتبع المنظمة وأعرف ما تقوم به، سواء في عهد المرحوم عبد الهادي بوطالب أو الدكتور التويجري، ولكن أنا أريد أن تكون لهذه المنظمة حالياً كما تكلم السيد الجراري استراتيجية كبيرة لأننا نخوض حرباً ثقافية، وإن لم تكن لنا استراتيجية استشرافية، سنبقى كما نحن، والسلام عليكم».

مداخلة 2 : الأستاذ جمال بنسليمان :

«أولاً الشكر الجزيل لأستاذ الأجيال على محاضرته البليغة متعددة المصبات والجداول. ألا تلاحظون أستاذي الجليل أن المثقف حامل لرسالة شمس المعرفة والفاعل الرئيس في صناعة معركة التغيير قد نفض يده وغاب ودام في ملح التراب ليفتح المجال لأنصاف المثقفين الذين ملؤوا الساحة بالقروح وقادوا الأمة إلى هذا البؤس السياسي والاقتصادي والقحط الفكري، وقادونا إلى هذا الخراب المتعدد الأوجه الذي نعاني منه اليوم ؟».

مداخلة 3 :

«شكراً لمؤسسة الإيسيسكو وشكراً لأستاذنا العظيم الأستاذ عباس الجراري. سأتكلم عن العلمانية في الإسلام. إن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما زار المدينة، ألقى خطابا وهو الأول هناك وقال: «**نحن أمة واحدة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**».

أعطيكم مثالاً بتركيا، مصطفى كمال عمل العلمانية. أين وصلت الآن؟ إلى الدرجة 17 من القوة الاقتصادية في العالم، فلا تنمية بدون تربية، ولا تربية بدون علمانية. هناك أستاذان في العالم تكلما عن العلمانية : أولاً، ابن رشد في الأندلس، وقال إن علينا أن نفرق بين المنطق والشريعة. حتى التربية تحتاج إلى لعب، واللعب هو الذي يربي الإنسان، فمثلاً، اليابان دولة لا ملة ولا دين لها، ولكن لها القيم الإسلامية الإنسانية، لأنني التقيت علماء هناك يشهدون بذلك، ومازالت هناك بعض الفضائل الإسلامية موجودة، مثلاً، «ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»، وهذا غير موجود في أوروبا وأمريكا. أنا مؤطر تربوي وأستاذ جامعي، وعملت بمخيم إسلامي ليس فيه لا قرآن ولا صلاة ولا أي شيء، اللعب فقط. سأعطيكم مثالاً : علمت الأطفال التعاون، لعبة الحبل، أطفال من جهتين ويجرون الحبل، وهناك ألعاب تربوية...».

مداخلة 4 :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الشكر للدكتور الجراري، والشكر الموصول لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في هذا اللقاء، وأتاح لنا الفرصة للإدلاء بآرائنا في هذا الموضوع. انطلاقاً من موضوع التحديات الثقافية والمستقبلية في العالم الإسلامي، وانطلاقاً مما جاء على لسانكم حول القيم كجزء أساسي في الثقافة والحداثة بقيمها، طفا على السطح مؤخراً موضوع أثار جدلاً وهو الحريات الفردية، وما تعلق بالعلاقات الرضائية، وإلغاء تجريم الإجهاض. من زاويتكم، في أي خانة يمكن أن نصنف هذا الموضوع، هل في خانة حقوق الإنسان، أم في خانة الحقوق وما إلى ذلك. أم هي سيول جارفة تأخذ الأخضر واليابس؟».

مداخلة 5 : الأستاذ عبد الرحيم :

«أنا سعيد جداً أن أكون بينكم. بالنسبة للماضي أستاذي عباس الجراري، ننظر إلى المشروعات التي كانت في عالمنا العربي كانت خصبة. نتكلم عن القومية والنهضة والإحيائية وغيرها من المشاريع الثقافية. ننطلق إلى الحاضر، فنجد أن هناك تصحراً ثقافياً كبيراً جداً، وأن هناك تخبطاً كبيراً من جانب الثقافة، ثم هذا التخبط يعكس أثره على الجانب السياسي، يعني ليس هناك مشروع ثقافي. هناك مجهودات فردية بالنسبة للأشخاص. يمكن أن نقول هناك ثقافة فردية ينتجها بعض الأشخاص في مختلف الميادين كالفلسفة أو التاريخ أو الأدب أو شيء من هذا القبيل.

ليس هناك منظور ثقافي يمكن أن يعبر عن وعي الشعوب. ما هو المشروع الثقافي الذي يمكن أن تذهب تجاهه هذه المنطقة ويسلك بها إلى بر الأمان؟ ثم ننتقل إلى النقطة الزمنية المتعلقة بالمستقبل. هناك أبحاث مهمة جداً تحاول أن تدرس المستقبل وأن تعطي أبحاث مهمة حول الذكاء الاصطناعي. يمكن أن نقول إنها أبحاث ملهمة وأبحاث يمكن أن تغير البشرية. هل يمكن بهذه الأبحاث أن نصل إلى موت الثقافة؟ وإذا قلنا لا، هل يمكن أن نقول على أن هذا الذكاء يمكن أن يخلق الثقافة، أو أن هذا الذكاء الاصطناعي يمكن أن يهيمن على الإنسان بثقافته؟».

مداخلة 6 : الدكتور محمد أحمد حسين الزعبي :

«بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم: معالي المدير العام، معالي الأستاذ المحاضر، السلام على جميع الإخوة الأفاضل الكرام، لست بصدد مداخلة لأن ما طلب منا هو أن نطرح سؤالين والحافز الأساسي لي للتدخل هنا هو أن أوجه تحية، ثم لدي تساؤل بسيط، أما التحية فأوجهها إلى هذه المؤسسة العتيدة التي شرفت بالانضمام إليها لثلاثة عقود وزيادة، كما واكبت نشأتها من قبل ميلادها بثلاث سنوات، فلا يمكن إلا أن يكون لها في وجداني الحب الكبير، وتحية إلى معالي المدير العام الدكتور سالم بن محمد المالك شاكراً كريم دعوته لنا بالحضور، وأجدد له الشكر لدعوته لنا للحضور في مناسبات سابقة، وأقول له إن هذه المبادرات المحمودة غير مسبوقة، فلكم الشكر والامتنان، ولتستمروا بإذن الله فيما فيه رفعة هذه المنظمة، وإلى زملائي جميعاً، أوجه التحية والمحبة لهم جميعاً، والأستاذ الدكتور عباس الجراري، ألستم كناقل تمر إلى هجر؟ إذا كان الأمر كذلك فهجر بحاجة إلى هكذا تمر.

استمعنا باستمتاع وبعناية لمحاضرتكم، وما ينبغي أصلاً لمحاضرات العباس إلا أن تكون كزهر الآس، إلا أن تكون ممتعة ومفيدة، فلكم جزيل الشكر. كذلك فكرة عقد هذا المنتدى الثقافي للإيسيسكو. فكرة جيدة نرجو لها طول العمر، كما نرجو لها التنوع مستقبلاً من حيث الموضوعات أو من حيث الشخصيات التي ستتولى إلقاء هذه المحاضرات، وكما لا يخفى أن التنوع يفتح الشهية ويجلب عشاق الثقافة.

نعود إلى موضوع المحاضرة. استمعت بعناية إلى هذه المحاضرة القيمة. طرحتم تحديين اثنين وأساسيين وأسميتموهما قضايا، هما: التنمية والأصالة والحداثة، حتى لا نقول الاسم الآخر. السؤال هو: هل هي أولويات التحدي الثقافي؟ التحديات كثيرة جداً، وهذه الورقة المعدة بعناية التي وزعها علينا الزملاء أغنتنا عن كثير عما نريد قوله أو التساؤل عنه، وكذلك كلمتي المدير العام والأستاذ عبد الإله، ثم ما يعنيني بالدرجة الأولى أتصور هو: كيف يمكن أن نواجه هذه التحديات؟ ألمحتم إلى أشياء، لكن ما السبيل؟ طرحتم أفكاراً لن أعيدها، ولكن ما الوسائل إلى ذلك؟ هل هي وسائل تشريعية؟ أم تمويل؟ أم إعلام؟ أم سياسة؟ أم خلاف ذلك؟ أم أجمع؟ التمويل مثلاً؟ الكفاءات المهاجرة؟ هل هي قلة رواتب؟ قلة مختبرات؟ قلة حوافز؟ أم ماذا؟.

لن أطيل، لكم الشكر الجزيل والسلام عليكم».

مداخلة 7 :

«بسم الله الرحمن الرحيم، أريد أن أشكر السيد مدير منظمة الإيسيسكو والدكتور عباس الجراري على تنظيم هذه المحاضرة المهمة جداً. أستاذي الجليل، ألا تعتقدون أن من التحديات الكبيرة في وجه تنمية الثقافة في العالم الإسلامي انتشار الأمية في الدول الإسلامية، وأعطي مثالاً على ذلك. بلدي المغرب الذي أعرفه أكثر من غيره. ألا يبدو لكم أنه من الغريب بعد 60 عاماً من الاستقلال، لازال ثلث المغاربة، أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، هذا التحدي الأساسي الأول، والتحدي الثاني: ألا ترون أن الإعلام ـ أعطي أيضاً مثالاً للمغرب ـ الإعلام بمختلف أشكاله من صحافة ورقية وإلكترونية وإذاعات وقنوات تلفزية خصوصية وعمومية، فيها طبعاً بعض الإشراقات الثقافية المضيئة، لكن معظم ما تقدمه هذه الوسائل الإعلامية للأسف الشديد عبارة عن مواد تافهة ورديئة لا تساهم في التنمية الثقافية. إذا، ألا ترون أن الإعلام أيضاً لا يواكب مجهودات المثقفين والجمعيات الثقافية والجامعات والمراكز الثقافية والمنظمات الثقافية وغيرها في نشر التنمية الثقافية؟ وشكراً».

د. عبد الإله بنعرفة :

«طبعاً أتعبنا معالي الدكتور كثيراً معنا هذه الليلة، سنترك له الفرصة لكي يجيب عن هذه الأسئلة».

أجوبة د. عباس الجراري :

«المشروع الثقافي قلت إنه لا بد له من إرادة، ولا بد له من آليات، هذه مسائل تنفيذية يمكن أن تثار لدى الجهات التي سوف تنفذ، ولكن المهم أننا نطرح أفكاراً فقط.

قضية المثقفين الذين همشوا أنفسهم، هذه مأساة حقيقة في المجتمع وفي أي مجتمع، بدل أن يكون المثقفون في الساحة، فإن بعضهم يظل على الهامش، وهو إما هو مهمش أو يهمش نفسه، هذه قضية أخرى.

بالنسبة لقضية العلمانية، نتفق أنه لا تنمية بدون تربية، والحديث عن الإسلام واللائكية موضوع يدخل في اعتبار آخر، ونحن يكفينا بالنسبة لديننا، وبالنسبة

لاعتقادنا أنه «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»، «لكم دينكم ولي ديني» هذا منتهى الاعتراف بالآخر وبديانة الآخر.

قضية الحريات الفردية، الحرية الفردية بطبيعة الحال هي مضمونة لكل فرد ولكن الحرية من حيث هي ليست مطلقة، أن أفعل ما أريد وكيف أريد، وبالشكل الذي أريد مع إهمال الآخر وعدم النظر في الآخر، ولو كنت سأمسه في عقيدته أو في عاداته وثقافته.

لهذا، فالحرية الحقيقية كما هو معروف حتى في العالم الذي يعنى بها تقف عند حرية الآخر. إذا أردت أن تكون لك حريتك فحافظ على حرية الآخر. أن يكون لك اعتقاد معين، احترم اعتقاد الآخر. هذه هي القيم الإسلامية. بطبيعة الحال، الجهود تبذل كثيراً، والكفاءات كثيرة ومتعددة، ولكن يغلب عليها العمل الفردي. الجهود

الفردية على الرغم من أنه توجد جامعات ودور نشر ومؤسسات، مع ذلك يبقى العمل الفكري والعلمي والثقافي في معظمه وفي مجمله قائم على الجهود الفردية، ولا أريد أن أتوسع في هذا الموضوع لأننا قضينا 50 سنة في الجامعة، ونعرف ما لها وما عليها.

الذكاء الاصطناعي، نحن مطالبون بأن نواكب العصر، وأن ننظر إلى كل ما يخترعه لنا العالم المتقدم، ولكن يجب علينا أن نفحصه وأن نصفيه. إذا كان هذا الذكاء الاصطناعي يغنينا عن بعض الأشياء، مرحباً به، لكن لا غنى عن الإنسان وعن الفكر، لأن الانسان هو الذي ابتكر الذكاء الاصطناعي، ولكن نحن المفروض أن نكون كما نقول على الصحيفة وعلى الوجه الذي ينبغي أن نكون عليه وأن نتابع ما يجري في العالم.

صحيح أن المبادرة التي قامت بها منظمة الإيسيسكو هي مبادرة جليلة وهامة للقاء كل شهر واللقاء على هذا النحو يفتح الأبواب للشباب لكي يناقشوا ويعبروا عن رأيهم، لأن هذا عصر الشباب، نحن فقط متطفلون، وأنا أدعو لأن يستفيد الشيوخ من الشباب. وأنا في كل مرة أجلس مع مجموعة من الشباب، أصغي بإمعان لأنني أستفيد، ولهذا فقضية هذه المبادرة في غاية الأهمية.

وفي قضية انتشار الأمية، أنا أتحدث عن العالم الإسلامي وفيه مستويات: مجتمعات متقدمة جدا، ومجتمعات لازالت تبحث عن نفسها، ومجتمعات تعاني إلخ... نحن في العموميات، ونريد أن نبقى في إطار هذا العالم الذي نحن منضمون إليه، ويجب أن

نفتخر بالعالم الإسلامي الذي إن أعاد حمل المشعل، فإنه سيكون له ما يقول، ولكن في بعض المجتمعات، هناك أمية منتشرة، وهذه مسؤولية.

تلاحظون أن كل مجتمع يبذل جهوده والمغرب منذ الحماية، والحركة الوطنية كانت تنظم محاربة الأمية، في المساجد والمدارس الحرة كانت تفتح أبوابها في كل مساء للصناع وللحرفيين كي تمحو أميتهم. وجاء الاستقلال وبذلت جهود وأنشئت مؤسسات، ومع ذلك مازالت أمية القراءة والكتابة. الآن نحن نعاني أميات أخرى، هي أميات المتعلمين، وهي خطيرة جداً. الشاب يتخرج من الجامعة أو الثانوية أو من معهد إلى غير ذلك، ثم يرمي بمحفظته وكتبه، وربما خرج وهو يسب المدرسة والأساتذة، إذن هناك أنواع اجتماعية ينبغي أن تعالج في مجالات متعددة.

العلماء والإعلام عليهم أن يلتفتوا إلى هذا. فالأسر في المغرب تخلت عن التربية، وألقينا أبناءنا إلى المدرسة، وإلى الشارع. هذا الشيء نعانيه ونعرفه، ولهذا تبذل جهود، وموضوع الأمية يمكن أن يكون موضوعاً من الموضوعات التي يمكن أن تثار في الإيسيسكو، لأن الإيسيسكو منظمة للتربية، وللثقافة، وللعلوم، يمكن أن يناقش، ويجب أن يناقش بجد.

مع ذلك المساجد الآن في المغرب وفي بعض المنازل، والناس يبذلون جهوداً، والشباب يبذلون جهوداً نساء ورجالاً للخروج من هذه المحنة. وأجدد لكم الشكر والتقدير، أولاً لمعالي المدير العام على هذه المبادرة الطيبة، ثم لكم، كونكم حضرتم هذه الأمسية وقدمتم بعض الآراء للمناقشة، وهذا شيء حميد في حد ذاته.

ينبغي أن نفتح صدورنا للنقاش، وللاستماع إلى الآخر. ما نقوله على الآخر القوي الذي ينتج الرقي والتقدم الذي هو يتزعم الحداثة لا نريد أن نسمع عنه. بعضنا لا يريد أن يسمع الآخر. هذه مسائل أخلاقية في القيم، وهي مسؤولية المدرسة، ومسؤولية الأسرة، ومسؤولية الخطباء والوعاظ في المساجد، كل هؤلاء مطالبون بأن ينبهوا على الأخلاق الإسلامية التي ينبغي أن نتحلى بها. شكراً لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

المدير العام للإيسيسكو:

«بسم الله الرحمن الرحيم، شكراً معالي الدكتور وشكرا للحضور الكريم. من هذه المحاضرة توسعت مداركي لمفهوم الثقافة، وإن كان محدوداً في السابق. اليوم، يجب العمل على تحقيق كل ما ذكر الدكتور، ومحاولة البحث عن حلول لكل هذه القضايا التي ذكر بعضاً منها معالي الدكتور عباس. لكنني ذكرت أيضاً في بداية الحديث أن هذه المنظمة هي منظمتكم، تستقبل آراءكم ومقترحاتكم، ومن آراءكم ومقترحاتكم نستطيع أن نصل إلى بعض الحلول لهذه القضايا سواء كانت ثقافية، أو تربوية أو علمية. التحديات كبيرة جداً، والتكنولوجيا والرقمنة وما إلى ذلك هي مسائل كبيرة جداً. ما سرني أيضاً هو ما ذكره معالي الدكتور لأن هناك عالمان: العالم الغربي والعالم الشرقي الذي احتفظ بقيمه وأخلاقه، وكل ما لديه من تراث، والعالم الإسلامي مليء بتراثه وتاريخه، فلا بد أيضاً أن يواكب العالم الإسلامي هذا التطور.

لدينا من الكفاءات ولدينا من النضج الذي ـ إن شاء الله ـ يؤهلنا أن نقارع سواء كان عالماً شرقياً أو عالماً غربياً. مرة أخرى أدعوكم لإبداء آرائكم ومقترحاتكم وأبوابنا مفتوحة. ونتمنى إن شاء الله أن نسمع منكم. أما ما علق به الأخ الكريم عن موضوعات الملتقى، فإنها ستتنوع، وسيكون هناك متحدثون مغاربة ومن خارج المغرب من دول مختلفة، وسينتقل أيضاً هذا الملتقى إلى دول العالم الإسلامي، من مكان إلى آخر، ولكن نحن نؤكد لكم بأن هذا الملتقى إن شاء الله سيستمر وسيكون نواة لتحديث ثقافة العالم الإسلامي. شكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

نبذة عن الدكتور عباس الجراري

نشأته وتكوينه

- ولد في الرباط بالمملكة المغربية في 1937/02/15.
- التحق بالتعليم الرسمي في مدارس إدارة الحماية.

أولا : مدرسة أبناء الأعيان ـ لعلو ـ حتى الشهادة الابتدائية.

ثانياً : ثانوية الليمون الفرنسية ـ College Des Orangers ـ الشعبة العصرية.

ثالثاً : ثانوية مولاي يوسف (1952-1956) ونال الشهادة الثانوية. وفي هذه المرحلة كان يتردد على معهد الدروس العليا المغربية حيث نال شهادتين في اللغة العربية والترجمة.

ونظرًا لأن برامج هذه المدارس كانت يومئذ فرنسية بسبب الحماية التي كانت مفروضة على المغرب، فقد تلقى في البيت على يد والده العلامة المرحوم عبد الله الجراري (تـ 1983) جملة وافرة من العلوم العربية والإسلامية أهلته من قسم الباكالوريا الأولى بالثانوية اليوسفية (1956) إلى الالتحاق بمصر.

التحق بكلية آداب جامعة القاهرة حيث نال:

- الإجازة في اللغة العربية وآدابها (مع اختيار اللغة العبرية كلغة شرقية) (1961).
- درجة الماجستير (1965) بتقديم رسالة عن الأمير الشاعر أبي الربيع سليمان الموحدي وتحقيق ديوانه، بإشراف الدكتور العلامة عبد العزيز الأهواني، رحمه الله.
- دكتوراه الدولة (1969) بتقديم أطروحة عن الزجل في المغرب : القصيدة، بالإشراف نفسه.

وكان بعد نيل الإجازة في مصر قد التحق بجامعة السوربون في باريس(1961-1962) حيث سجل أطروحة دكتوراه الدولة بقسمها الرئيسي تحت إشراف المستشرق

الكبير المرحوم ريجي بلاشير في موضوع «مسلمو إسبانيا ورحلاتهم إلى المشرق» Les Musulmans d´Espagne et leurs voyages en Orient.

وظائفه :

- التحق بالسلك الدبلوماسي (سفارة المغرب في القاهرة) 1962.
- انضم إلى هيئة التدريس بجامعة محمد الخامس في فاس ثم في الرباط. تدرج في درجات الأستاذية التي أهلته ليمنح لقب «أستاذ فخري» في 2017 بمناسبة احتفال الجامعة بذكراها الستين. وفي سنة 2002 تقاعد عن العمل بالجامعة حيث كان يدرس المواد الآتية: الأدب العربي والإسلامي في المشرق ـ الأدب العربي في المغرب ـ الترجمة ـ المناهج.
- انتخب رئيساً لشعبة اللغة العربية وآدابها عند تأسيسها في كلية الرباط.
- عين مديرًا للدراسات الجامعية العليا لتكوين أطر التدريس بالجامعة 1982، ثم رئيساً لوحدة أدب الغرب الإسلامي للدراسات العليا، 1998.
- أشرف على أزيد من ثمانين رسالة دبلوم وأربعين أطروحة دكتوراه.
- عمل أستاذاً زائراً في عدة جامعات أجنبية.
- عضو في المجلس الإداري لجامعة الأخوين بإيفران، وجامعة القرويين.
- عينه جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله أستاذًا بالمدرسة المولوية.
- عمل عميدًا لكلية الآداب في جامعة القاضي عياض بمراكش في فاتح مارس 1980، بتعيين من جلالة الملك الحسن الثاني، رحمه الله.
- عضو بأكاديمية المملكة المغربية والمجلس العلمي الإقليمي لولاية الرباط 1983، ورئيس لهذا المجلس من 1994 إلى دجنبر 2000.
- في فاتح يناير 1999 عينه جلالة الملك الحسن الثاني يرحمه الله، مكلفًا بمهمة في الديوان الملكي، وهو المنصب الذي استمر يشغله في ظل جلالة الملك محمد السادس نصره الله، إلى أن عينه مستشارًا لجلالته في 29 مارس 2000م.

كتبه وإصداراته :

نشر الكثير من البحوث والمقالات في صحف ومجلات مغربية وعربية وأجنبية، وأصدر في مجالات تخصصه واهتماماته عشرات المؤلفات (وبعضها دراسات قصيرة مترجمة إلى الفرنسية والإنجليزية). ومن بين مؤلفاته:

في الدراسات المغربية :

- النضال في الشعر العربي بالمغرب من 1830 إلى 1912 (طبعتان : 1975، 1978).
- قضية فلسطين في الشعر المغربي حتى حرب رمضان (1975).
- وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ (1976).
- ثقافة الصحراء (1978).
- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه (ج 1 ثلاث طبعات : 1979، 1982، 1986).
- عبقرية اليوسي (1981).
- العالم المجاهد عبد الله الجراري (1985).
- معالم مغربية (1991).
- تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب من 1830 إلى 1990م (1997).

في التراث الشعبي :

القصيدة : الزجل في المغرب (1970).

- من وحي التراث (1971).
- معجم مصطلحات الملحون الفنية (1978).
- في الإبداع الشعبي (1988).
- دليل قصائد الزجل في المغرب ـ الملحون ـ (2017) .
- أشرف على سلسلة دواوين الملحون التي تصدرها أكاديمية المملكة المغربية.

في الأدب العربي الإسلامي :

- من أدب الدعوة الإسلامية (طبعتان : 1974، 1981).
- في الشعر السياسي (طبعتان : 1974، 1982).
- صفحات دراسية من القديم والحديث (1976).

في الدراسات الأندلسية :

- أثر الأندلس علي أوروبا في مجال النغم والإيقاع (1982).
- النغم المطرب بين الأندلس والمغرب (2002م بالعربية والفرنسية).

في قضايا الفكر والثقافة :

- الحرية والأدب (1971).
- الفكر والوحدة (1984).
- الثقافة من الهوية إلى الحوار (1993).
- هويتنا والعولمة (2000).

رحلاته :

- ثلاثون يوماً في الولايات المتحدة الأمريكية. إعداد وتقديم الدكتور مصطفى الجوهري (2018).

في الفكر الإسلامي :

- الفكر الإسلامي والاختيار الصعب (1979).
- بحوث مغربية في الفكر الإسلامي (1988).

- مفهوم التعايش في الإسلام (1996).
- القدس الشريف (1998).
- الحوار من منظور إسلامي (2000).
- أهمية الماء في منظور الإسلام.
- الإسلام واللائكية ـ معرفة الإسلام ـ (2003).
- الدولة في الإسلام : رؤية عصرية (2004).
- لا تطرف ولا إرهاب في الإسلام (2004).
- الإصلاح المنشود (2005).

وقد أسهم الدكتور الجراري في صياغة مشروع (استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية)، بتكليف من منظمة الإيسيسكو، وبمشاركة الدكتور محمد المختار ولد اباه من موريتانيا والأستاذ أحمد محمد هاشم من اليمن. وقد نشرتها المنظمة عام 1431هـ - 2010م بعد أن اعتمد مشروعها مؤتمر القمة الإسلامي في دورته العاشرة بماليزيا (2003).

كما خص الدكتور عباس الجراري مجلة (الإسلام اليوم) التي كانت تصدرها الإيسيسكو، بعدد من المقالات الفكرية الرائدة، والتي نشرت فيما بعد في كتب بالعربية والفرنسية والإنجليزية، نذكر منها :

- ثقافة الإصلاح وإصلاح الثقافة.
- من قضايا الهوية الوطنية.
- الهوية الوطنية والجهوية.
- الأخلاق أساس كل إصلاح.
- بين التنمية والثقافة.
- مكانة المقدس في الثقافة المعاصرة.
- خطاب إسلامي معاصر: منطلقات وخصوصيات.
- معادلة السلم و الحرب في الإسلام.

- منظور الإسلام إلى البيئة وعلمها : الإيكولوجيا.
- الدولة الإسلامية بين النظامين الديني والمدني.
- حاجة الفكر العربي الإسلامي إلى حداثة أصيلة.

شعره :

وله ديوان شعر في جزأين من إعداد وتقديم الدكتور محمد احميدة (2017م).

النادي الجراري :

- أسسه والده، العلامة عبد الله بن العباس الجراري عام 1930.
- جعله منتدى يلتقي فيه بعد عصر كل جمعة رجال العلم والأدب والوطنية من مغاربة ووافدين.
- ارتبط هذا النادي بمكتبته ـ الخزانة العباسية ـ التي كانت له بها عناية خاصة، والتي تعكس موسوعية ثقافته.
- تابع ولده الدكتور عباس الجراري نشاط النادي في نفس ميعاده بمنزله، مع فتح الباب للشباب والجامعيين منهم على الخصوص، وكذا ضيوف المغرب من عرب وغيرهم.
- تعقد في نطاق النادي جلسات مناقشة لقضايا متنوعة ولبعض الإصدارات الجديدة، كما تنظم ندوات وطنية
- صدرت عن النادي عشرات المنشورات والكتب والدراسات.

جائزة عبد الله الجراري في الفكر والأدب :

تم الإعلان عن إطلاق هذه الجائزة في ندوة تكريمية للأستاذ عباس الجراري في مدينة شفشاون سنة 2009. للجائزة لجنة علمية يرأسها مؤسسها الأستاذ عباس الجراري، وتضم مفكرين في مختلف المجالات المعرفية من داخل المغرب أوخارجه. ويتم تنظيمها كل سنتين.